وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية الاداب
قسم الاثار

النحت البارز في عصر الملك الاشوري اشور بانيبال ٦٦٩-٦٢٧ ق .م

بحث تقدم به الطالب - حسين نجاح كاظم -
الى مجلس قسم الاثار
وهو جزء من متطلبات مادة بحث التخرج

بأشراف
أ.د.م محمد السياب

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))

صدق الله العلي العظيم

سورة الحجر: ٨٠-٨٤

إذا كان الإهداء يعبر ولو بجزء من الوفاء

فالإهداء

إلى

معلم البشرية ومنبع العلم

نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

الباحث

شكر وتقدير

يطيب لي ان أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الفاضل الدكتور محمد السياب لما قدمه لي من مساعده وإرشادات في إعداد هذا البحث

ومن الله التوفيق

الباحث

الـــــمحتـويــات

ت	الموضوع	رقم ص
١	الاية القرانية	أ
٢	الاهداء	ب
٣	الشكر	ج
٤	المحتويات	د
٥	المقدمة	١
٦	المبحث الاول	٢
٧	مقدمة عن العصر الاشوري	٣
٨	التطورات السياسية في العصر الاشوري واثرها على الفن	٤-٥
٩	سيرة حياة الملك اشور بانيبال	٦-٧
١٠	مكتبة اشور بانيبال ، وفاتة وسقوط الامبراطورية	٨
١١	المبحث الثاني	٩
١٢	النحت لغة واصطلاحاً	١٠
١٣	فن النحت الاشوري	١١
١٤	نماذج من فنون النحت	١٢
١٥	النحت البارز في عصر الملك اشور بانيبال	١٣-١٤
١٦	المبحث الثالث	١٥
١٧	مواضيع النحت البارز	١٦
١٨	المشاهد الحربية	١٧-١٨
١٩	النحت البارز	١٩
٢٠	مشاهد الصيد	٢٠
٢١	المشاهد الطبيعية	٢١
٢٢	مواضيع اخرى	٢٢
٢٣	مسلة اشور بانيبال	٢٣
٢٤	الحديقة الملكية للملك اشور بانيبال	٢٤-٢٥
٢٥	الخاتمة	٢٦
٢٦	الملاحق	٢٧-٤٢
٢٧	المصادر	٤٣

المقدمة

سكن الأشوريون شمال العراق منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وكانوا يتحينون الفرص لكي يستقلوا بمدنهم عن حكم الجنوب، حيث كانوا خاضعين قبل استقلالهم للمملكة الأكادية، و بعدها خضعوا للكوتيين، ثم لملوك أسرة أور الثالثةالتي استمر خلال الفترة من ٢١١٣ ـ٢٠٠٦ ق.م ، ثم استقلوا بعد ذلك وتمكنوا بظهور حمورابي ملك بابل والذي حكم خلال الفترة من (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) من القضاء على تلك الاقوام المناوئة لهم، حيث استمرت المناوشات بين الشمال والجنوب لفترة زمنية ليست بالقصيرة ، فكان الجنوب يبسط سيطرته على الشمال {أشور} فتره ثم ينال الشمال استقلاله في فترة أخرى ، إلى أن تمكنت الدولة الآشورية من بسط نفوذها القوي على مناطق واسعة من الجنوب ، حيث أمتد نفوذها إلى بلاد بابل.

ولهذه الاسباب فقد صنف المؤرخون التاريخ الأشوري إلى ثلاثة عهود (القديم، الوسيط، والحديث).. القديم يبدا من فجر التاريخ حتى نهاية العصر البابلي الاول، اي خلال الفترة المحصورة بين (٢٠٠٠ ـ ١٥٢١ق.م) في حين يبدا العصر الوسيط من نهاية العصر البابلي الأول حتى بداية القرن التاسع قبل الميلاد(١٥٢١ـ٩١١ق. م).وقد استمر هذا العصر خمسة قرون في صراعات و نزاعات مستمرة مع الكاشيين ،خرج الآشوريون بعدها أقوياء ليكونوا الإمبراطورية الأشورية الأولى والتي يبدأ بها العهد " الأشوري الحديث الذي يبدأ منذ العام٩١١ وينتهي في عام٦١٢ ق.م بسقوط نينوى العاصمة الآشورية الثالثة. خلال تلك الفترة نجح القادة الأشوريين في تأسيس جيش قوي و محكم التنظيم متفوق المعدات، ولا مجال هنا لتتبع المراحل المختلفة لهذا التطور الذي سمح لجيوش أشور ونينوى بالاستمرار في زحفها نحو الغرب، ويكفي أن نذكر أن أقصى ما وصلت أليه تلك الجيوش هو الخليج العربي وعيلام في الشرق، وجبال أرمينيا في الشمال والبحر المتوسط وجزيرة قبرص في الغرب ومصر وطيبة ، المدينة " ذات الأبواب المائة"، وصحراء العرب في الجنوب ولم يحدث من قبل أن بلغ شعب من الشعوب هذا المدى من التوسع خارج حدوده. الى جانب ما تميزت به الامبراطورية الآشورية من تفوق عسكري مشهود ، فأنها توسعت في آفاق المعرفة الحضارية بشكل كبير ايضا في حقول كثيرة ومتنوعة ، ولا سيما في النقوش والفنون إلنحتية ، وهو الجانب الذي يهمنا في هذا البحث، اذ أن الولوع بالفن وعشقه أمر يجمع بين الأطفال والبدائيين في بوتقة واحدة، وأنه ينتهي بهم إلى نتائج متقاربة، فلقد مارس البدائيون الرسم والنحت قبل أن يعرفوا الكلام والزراعة وقبل أن يستأنسوا الحيوان ويصنعوا الفخار. وتلك الفنون البدائية كانت مجرد رغبات دنيوية ويستمتعون بأنغام الموسيقى والرقص. ومن خلال بحثي المتواضع ننتقل لنتعرف في المبحث الاول على اهم سمات العصر الاشوري وانجازات الملك اشور بانيبال وفي المبحث الثاني فن النحت الاشوري والمبحث الثالث اهم مواضيع النحت واعتمدت في دراستي على كتابات طه باقر مقدمه تاريخ الحضارات القديمة ، وكتابات رياض عبد الواحد اشور بانيبال سيرته ومميزاته ونستنتج من ذلك ان الفنانون الاشوريون مارسوا فن النحت بكلا نوعية غير ان ابدعهم الفني تجلى في النحت البارز إن هذا النحت التعبيري او التصويري المجرد وعلاقته بالمشاهد المفردة قد أصبح عنصرا فرديا تماما وأعظم تأثيرا في الفن، ومن أهم وسائله للتعبير .

المبحث الأول

مقدمة عن العصر الأشوري الحديث

المبحث الاول

مقدمة عن العصر الأشوري الحديث :

يصح اعتبار حكم الملك ادد ـ نيراري الثاني (٩١١-٨٩١) ق.م الرجل الذي خلص بلاد اشور من الأخطار يصح اعتبار حكمه عصر جديد من تاريخ الدولة الأشورية وهو العصر الذي دام إلى نهاية كيان الأشوريين السياسي من بعد سقوط نينوى في عام ٦١٢ق م اي انه دام زهاء ثلاث قرون وينقسم إلى دوريين متميزين تكون كل منهما حضارة متميزة وإمبراطورية كبرى .هما الإمبراطورية التي وضع اسمها الملك ادد- نيراري الثاني وانتهت في عام ٧٤٥ ق.م فتكون قد دامت زهاء القرن والنصف القرن ٧٤٤-٩١١ ق.م وحكم فيها تسعة ملوك من حكم ادد – نيراري إلى الحكم نجلا نيراري الثالث ٧٢٧-٧٤٤ق.م وشغلت الإمبراطورية الثانية البقية الباقية من تاريخ الآشوريين إي عام ٦١٢-٧٤٥ ق.م وأشهر حكامها من السلالة الرجوثيه سرجون وخلفائه ومما يقال عن هذا العصر الجديد بوجه عام ان الأشوريين بلغو فيه القوه العسكرية مبلغا كبيرا .[١]

بحيث سيطروا على حياه الشرق الأدنى القديم طوال معظم القرون الثلاث التي دام ظلها طوال هذا العصر . وكونوا إمبراطورية كبرى كانت أوسع ما مر به بنا من الإمبراطورية في العراق وقد شغل أوائل ملوك هذا العصر كما قلنا في القضاء على الخطر الآرامي من بلاد جوار بلاد آشور . ثم انتقلوا بعد فترة الى توجيه الضربات المميتة إلى الدويلات الآرامية وصارت غزواتهم باتجاه الأشوريين ان الدول الأخرى من الشرق الأدنى في العصر الأشوري الحديث كانت دولا ضعيفة عاجزة ازار قوتهم العظيمة فقد زالت الدولة الحديثة من الوجود من القرن الثاني عشر ق.م ويمكن القول انه لم يكن ينتهي القرن التاسع ق.م حتى شملت الإمبراطورية جميع الشرق الأدنى . وصادف قيام هذه الإمبراطورية انتشار استعمال معدن الحديد في الشرق الأدنى القديم . فاستغله الأشوريين في تكوين أضخم جهاز حربي عرفه العالم القديم اذ صنعوا منه أسلحتهم القتالية وآلات الحصار الضخمة كالدبابات والعربات .[٢]

١- باقر طه ، مقدمة تاريخ الحضارات القديمة ،ج ١ ، بغداد ١٩٨٦، ص٤٩٩.

٢- المصدر نفسه ،ص ٥٠٠

التطورات السياسة في العصر الاشوري واثرها على الفن

اولا :- العصر الاشوري القديم ٢٠٠٠ -١٥٢١ ق. م

إن خاصية الفن التشكيلي الأشوري هو التقرب إلى إدراك شكل ما وخاصة الإنسان والسعي إلى بناء مثل عليا للرجولة. هذه المثل هي الملك المنتصر ، الملك الأسطورة ، الملك القهار ، الملك الزوج القدير. ففي كل التكوينات سواء كانت نحتا مدورا او مجسما أكد الفنان الاشوري القديم في تعبيره عن البطش والقوة بشكل غير مألوف لإبراز العضلات وتصفيف الشعر الطويل والكثيف.

ان قصة الفن التشكيلي، وتاريخ تطوره، وكيف كان حال الفنون المختلفة من: نحت، وعمارة، وتصوير، بالإضافة إلى الفنون التطبيقية في الحضارات العراقية القديمة. ويقصد بها حضارت وادي الرافدين حيث أثرت تلك الحضارات العراقية القديمة التاريخ الإنساني في شتى مجالات الحياة تميزت في هذا العصر بجملة خصائص ابرزت تفرد النحات الآشوري بأعماله التي لا تضاهيها اعمال غيرها في مجال المجسمات المنظورة والتي تتمثل بأشكال الثيران المجنحة والتماثيل الكبيرة الخاصة بالآلهة والملوك ، الى جانب المسلات التي اشتهر بنحتها الفنان الآشوري في ذلك الوقت.

ثانيا:-العصر الاشوري الوسيط (١٥٢١ - ٩١١) ق. م

بعد اعتلاء الملك الاشوري بوزور- اشور الثالث عام ١٥٢١ ق .م العرش الاشوري بزغت ملامح عهد جديد في بلاد اشور اصطلح البعض عليها اسم العصر الاشوري الوسيط والذي دام اكثر من ٥ قرون شهد خلاله احداثا هامة وتقلبات وتغييرات عسكرية وسياسية واجتماعية وحضارية غاية في الاهمية ، فمن الضعف الى القوة ومن التدهور الذي شهدته اشور من الناحية الاقتصادية في العصر القديم انتقالها الى الانتعاش والرفاهية في هذا العصر وكذلك من الجمود والركود الحضاري الى الازدهار والتقدم . ومن التبعية والاحتلال الى السيادة .

لقد كانت للثاثيرات الحاصلة في منطقة الشرق الادنى القديم في هذه الحقبة دورا كبيرا في حصول تغيرات جذرية في بلاد اشور وحياتهم حيث ان بلاد اشور ان هي الا جزء من هذه المنطقة تتاثر بما يحدث وتؤثر احيانا بوقوع الاحداث الداخلية ، فالخاصية العامة للنحت البارز الجداري عند الأشوريين في العصر الوسيط يكمن في أن الشخصيات المعبر عنها تكون مصاغة بشكل متراص والفراغات شغلت برسوم إضافية وكتابات الاشوريين انفسهم في ذلك الوقت.

ثالثا:- العصر الآشوري الحديث

امتازت فنون العصر الآشوري الحديث التشكيلية (٩١١ - ٦١٢ق.م) بصيغتها الدنيوية ، اذ انها لم تكن لتحفل بتمثيل الطقوس الدينية، ولا جعلها مسخرة للآلهة في تناولها المكانة الأولى، فقد ظهر النحات في مجموعه مشاهد من المنحوتات الجدارية

تغلف جدران قصور الملوك الآشوريين شهدت على عظمة تلك الاعمال من حيث البناء الفني والتكوينات الدقيقة التي اظهرت براعة متفردة للازميل الاشوري في ذلك العصر .

ويتضح ذلك من أحد الرسوم الجدارية المكتشفة في قصر الملك الآشوري تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ق.م) في (تل بارسب)

ويبدو من منحوتة جدارية بارزة أخرى من الحجر كشف عنها في دور ـ شروكين (خرسباد) عن مشهد لحملة الملك سرجون الآشوري الثامنة على مملكة أورارتو (أرمينيا الحالية) عام ٧١٤ ق.م، إذ يشاهد فيها سقوط عاصمتها (مصاصيرُ) كما يظهر الجنود الآشوريون للمدينة حيث يلاحظ على المشهد مرتفعات تعكس وقوع الأحداث في المناطق الجبلية ويظهر في أجزاء أخرى من هذا المشهد الجنود وهم يحملون الغنائم ، منهمكون في نقل الدروع الذهبية التي كانت معلقة حول باب المعبد في تلك العاصمة الارمينية، ويشاهد إلى أعلى اليسار موظف جالس على مقعد في أعلى شرفات أسوار المدينة، وأمامه اثنان من الكتبة يسجلون الغنائم ، والكاتب الذي يشاهد على يمين المشهد هو كاتب يكتب بالمسمارية على لوح طيني بينما الثاني يكتب على قطعة من الرق (الجلد) أو ورق البردي التي تتدلى من يده ومن فترة حكم الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق.م) وصلتنا أعداد كثيرة من المنحوتات البارزة التي كانت تزين جدران قصره الكائن في نينوى (تل قوينجق) شمالي مدينة الموصل ، وقد حوت بعض هذه المنحوتات مشاهد عدد من الحملات العسكرية للملك ضد المتمردين عليه كما ضمت مشاهد للكتبة فيها، ويبدو من أحدى هذه المنحوتات مشاهد حملته على جنوب بلاد بابل حيث يظهر في المشهد الأول عمليات إحصاء الغنائم التي تؤخذ من إحدى المدن المتمردة ويشاهد فيها كاتبان يقومان بتسجيل الغنائم وإحصاء أعداد القتلى في ساحة المعركة

أما في عهد سنحاريب وكما يبدو من هذا المشهد فقد كان الكتبة يفضلون ارتداء الملابس القصيرة لأنها كانت عملية أكثر، وهذا ما شاع في المنحوتات الآشورية من الفترات المتأخرة أيضاً كما عمد أولئك الكتبة إلى ارتداء جوارب تغطي أعلى الركبة وتربط بشريط، ويلبس فوقها أحذية يتم تثبيتها بأشرطة متقاطعة على أقدامهم

لقد عمد الآشوريون إلى تصوير هذه المشاهد بالنحت البارز على جدران قصورهم وعلى واجهات الجبال كإحدى أساليب الحرب النفسية والدعائية التي استخدموها ضد أعدائهم بقصد إرهابهم وبث الخوف والذعر في صفوفهم للحيلولة دون قيامهم بالتمرد والنيل من سيادة الآشوريين ومصالحهم وليكون هؤلاء المعاقبون من المتمردين عبرة لغيرهم ورادعاً أمام كل محاولة تمرد آخرى فيما بعد

كما ويشاهد في ثلاث منحوتات جدارية أخرى وصلتنا من قصر الملك آشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق.م) في نينوى مشاهد لكتبة، يظهر في إحدى هذه المنحوتات كاتبان يسجلان الغنائم أحدهما يقف إلى اليمين وهو يحمل لوحاً مفصلياً (من الخشب أو العاج المغطى بالشمع) بيده اليسرى بينما يحمل قلماً باليد اليمنى، أما الكاتب الآخر فيحمل قرطاساً ربما يكون من الجلد أو ورق البردي ويتدلى إلى الأسفل ويلاحظ أن زي كل من الكاتبين يتكون من رداء قصير ينتهي عند الركبتين وربما كان هذا الزي خاصاً بكتبة الجيش لاختلافه عن الأردية الطويلة التي يظهر بها الكاتب العادي في القصور، وربما كان هذا الزي عملياً أكثر ويتيح حرية الحركة والتنقل بحزام من الجلد المضفور حول الخصر وينتهي الرداء بشراشيب من الأسفل، ويحتذي كل من الكاتبين بجزمة فوق جواريب من النسيج الخشن .

١- **عدي عبد الوهاب النعيمي ،الحوار المتمدن ،ع:٢٥٣٦، سنه ٢٠٠٩ ، المحور: الادب والفن**

سيرة حياه الملك اشور بانيبال

آخر ملوك آشور العظام، ويعني اسمه آشور، خالق وريثه ابن اسرحدون ملك الإمبراطورية الآشورية الجديدة، يُسمى في كتاب العهد القديم أُسنَفَّر عزرا فيما يُطلِق عليه اليونانيون والرومان ساردانابولوس

ذكر آشور بانيبال شانه من ذلك شأن العديد ممن سبقوه من الملوك السومريين والبابليين والاشوريين ان اختياره لتولي السلطة وتسميته لحكم البلاد تم بمشيئة الالهه واكثر من ذلك فانه ذكر ان الالهه اختارته قبل مده طويلة من مولده ليكون المنقذ لتمثال الالهه عشتار ishter. التي نقلها العيلاميون خلال حملة لهم على بابل وانها هي ايضا كلفته قبل زهاء ١٦٣٥سنه ماضيه باعاده تمثالها الى معبد ((اي ـ انا ـ eanns)) في السورتاء .[١]

نجد ان ترمينه اشور بانيبال بصمه نموذجا متميزأ لترميه الأمراء في العصر الأشوري الحديث . ولا سيما عندما نجده يتكلم عن حياته ونشأته سار عليه الملك الاشورين اسر حدون له حيث نجد ان ترميه اشور بانيبال قد بدأت في وقت مبكر فمنذ ولادته احتضنته الالهه ومهنت حظا لم تمنحه لأحد من الأمراء في البلاط الأشورية فهو يذكر ان الإله مردوخ وهبه الذكاء وان اكتساب . صفات القوة والرجولة كانت بفضل الإلهيين نتورتا وترعال.[٢]

اشور بانيبال مثله من ذلك مثل الملوك الذين سبقوه لم يشيئ الإشادة بجده (ادابا) أحاطه بتنبوء انه وحكمته وأطلعه على كل الفنون الكتابية في السماء والأرض . [٣]

فيما يلي نص موضوع بعض معارفه

((امتلكت من سيدي ـ ادابا ـ وتعلمت المعرفة الخاصة بالكتب 'علامات السماء والأرض ، ودرست الفال والنبوءة مع أساتذة فصل الزيت الكهنة واستطعت ان أصل مسائل معقدة في القسمة والضرب وأتقنت من الكتابة السومرية والاكدية البالغة التعقيد الموغلة في القدم وكنت استمتع بقراءة الأحجار والأنصاب التي تعود الى أزمان ما قبل الطوفان .....))

١- جورج كونتينور ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة سليم طه وبرهان عبود، بغداد ١٩٧٩م، ص٢١٠ .
٢- جورج رو ، العراق القديم ، مترجم ، ص ٢٥٤.
٣- الدوري ، رياض عبد الواحد ،اشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٧ق.م) سيرته ومميزاته ، بغداد ٢٠٠١ ،ص ٤٢

ترتبط معرفة وثقافة اشور بانيبال بالالهة التي وهبته بكل الفنون الكتابية التي درسها على ايدي اكتر الكتاب مهارة في عصره . وقل انواع الكتابات ويشير انه اكتسب درجة علمية ترفعه الى مصافهم في معرفته بالكتابات القديمة فضلا عن ذلك نجد اشور بانيبال يفتخر بكونه أصبح متضلعا في كتابة tupsarruti الرقم الطينية . باستخدام الخط المسماري ضمن المادة التي فهم بها التراكيب الأدبية وعرفة بشكل جيد مستلزمات المعرفة التقنية التي تتطلبها الكتابة المسمارية .[١]

لقد امدتنا المصادر المسمارية بمعلومات وافية عن عائلة الملك الاشوري حيث ذكرت :(ان له ٦ اولاد وبنت واحده هي [شيروا ـ افيتريت ـ serue-ererat] كما ورد ذكر الابن الاكبر (سين _ ايديا _ابلا-) sin _iddina_aplaالذي توفي مبكرا.[٢]

اما الابن الثاني فهو (شمش –شوم_اوكن -samas_sum_ukin) الذي سمي مرة ب -mar asaridu الابن الاول ومرة ثانية ب -mar-rabuالابن الاكبر وعلى ايه حال فان الافتراض ان الابن الاكبر الثاني لا يزال موضوع خلاف .

اما في نص المعاهدة التي عقدها اسر حدون مع رمانيا حاكم احدى المقاطعات اعيدية وفي مراسلات شمش- شوم- اكون التي وصف اشور بانيبال فيها ahu-talmuh الاخ التؤام . فما يزال النقاش حول تساوي مكانيهما او الغار التعاقب بينهما وعلاوة على هذا فان لاشور بانيبال اخوين اخرين هما اشور- موكن - بيليا assur –mukin-paleia واشور- اتل- شم ارهيني –باليطشو – -etei– ersiti-ballitsuyوهما اصغر من الاخ شمش- شوم ، ومينا لو باليت اما زوجه اسر حدون والده اشور بانيبال فلم يعرف اسمها حتى

الان وقد عرف اشور بانيبال ان الابن الثالث للملك الاشوري اسر حدون الذي تزوج في حياة والده من اشور شتران وانجب مناه ولدين هما اشور - اتل assur-sarrat وسين شار ايشكن suinarr-iskun .[٣]

سيطرت الإمبراطورية الآشورية في عهده على بابل، سوريا، فارس ومصر، وقد كان ملكاً محبوباً من شعبه بسبب حُكمه العادل ولكنّه كان قاسياً تجاه أعدائه وعادةً ما ربطهم بالأطواق كالكلاب واحتجزهم في وجارها، اشتُهر بمكتبته الكبيرة في نينوى والتي اعتبرها أعظم انجازاته، وقد تم تدمير عيلامَ أثناء حكمه والتي كانت عصيّةً على الآشوريين الذين سبقوه كما تم إخضاع أورارتو. وقُبيل نهاية حُكمه أصبحت آشور واسعةً لدرجة لم يكن بمقدورهم الدفاع عنها جيداً وبدأت بالتفكك حتى انهارت تماماً بموته

١- مورتكان ، انطوان ، تاريخ الشرق الادنى ، القديم القريب ، توفيق سليمان ،(دمشق ،١٩٦٧) ، ص ٣٢٠ .
٢- الدوري ، اشور بانيبال ، ص ٤٦.م
٣- المصدر نفسه ، ص٤٧.

مكتبةُ آشوربانيبال:

بَدَتْ الإمبراطورية الآشورية لا تُقهر بتدميرِ عيلام فلم يكُن هناك مملكةٌ أو دولةٌ أخرى قويةٌ كفاية لمجرّدِ المقارنةِ بآشور وتم إخمادُ كلِّ الثورات الداخلية وإعادة المدن الثائرة إلى الحضن الآشوري. كان آشوربانيبال راعياً للفنون وبإنهاء مشاكله داخلَ الحدود وخارجها أصبح لديه الوقت الكافي فبنى المكتبة الشهيرة في نينوى والتي احتوت على أكثر من ٠٠٠،٠٣ لوحاً من الطين كما احتوت أسطورة الخلق البابلية التي تروي حكاية غيلغاميش وهي أقدم قصة مغامرة في الوجود كما وُجد فيها قصّةٌ عن الفيضان العظيم تسبق الإنجيل وكان اكتشاف هذه المكتبة في القرن التاسع عشر من أهم الاكتشافات الأثرية في التاريخ. لم يكتفِ آشوريانيبال بالجمع بل ادَّعى إمكانيته القراءة والكتابة باللغاتِ القديمة حيث قرأ النقوش السومرية والأكادية القديمة، ولم يكن ادعائَه فارغاً بل وُجدت نصوصٌ مسماريةٌ موقعةٌ باسمه:
"آشوربانيبال، ملك آشور" ولتحقيق كل ذلك طلبَ من أتباعه ونُوَّابه في كل بلادِ مابين النهرين إرسال نُسخٍ من كلّ ماهو مكتوبٌ، حيث اهتمّ أيضاً باقتناء كل الأعمال المهمة في تاريخ المنطقة وكان يطلبها بالاسم من صلواتٍ وأدعيةٍ وتراتيلَ وتعاويذَ وغيرها من النصوص، ومقدار ما وُجِدَ من النصوص كان خيرَ دليلٍ على نجاحه في مسعاه كما اعتَبر مكتبته من أهم انجازاته حيث وصفها: "أنا، آشوربانيبال ملكُ الكون، الذي منحتْهُ الآلهة الذكاءَ وامتلكَ النظرةَ الثاقبة للمعرفة الواسعة والمبهمة التي لم يمتلكها أسلافي، وضعتُ هذهِ الألواح للمستقبل في مكتبة نينوى من أجل حياتي وصحةٌ روحي وللحفاظِ على دعائم سُمعتي الملكيّة."

وفاته وسقوط الإمبراطورية:

قضى آشوربانيبال بقيّة حياته في جمع الكتبِ وترميم نينوى وإدارة بلاده، كما قادَ بعض الحملات العسكرية -ورمّمَ بابل حتى ٩٢٦ ق.م حين ذهبَ إلى حرّان في الشمال للتّداوي وتركَ الإمبراطورية في يَدي ابنه آشور ايتيلياني الأمر الذي رفضه ابنه التوأم سنشار إشكون وبدأت حربٌ أهلية استغلّتها الأقاليم المختلفة لتحقيق الاستقلال الذاتي وحين تُوفي آشوربانيبال في ٧٢٦ ق.م تفككتْ الامبراطورية وأعلنت الولايات المختلفة الانفصال تباعاً. وبين ٧٢٦ و ٢١٦ ق.م غزا الفرس والميديون والسكيثيون والبابليون وغيرهم المدن الآشورية ونهبوها حتى دُمِّرتْ كلٌّ من مدن آشور ونينوى وكالو)مدينة نمرود حالياً(في ٢١٦ ق.م بحرائقَ كبيرة ودُفنت مكتبة آشوربانيبال تحت القصر المُحترق حتى اكتُشفت بعد ألفي عام مغيرةً نظرةَ العالم للتاريخ القديم بكونها أقدم من الإنجيل الذي كان يُعتبر أقدم كتابٍ في العالم وكانت بحقٍّ أعظم انجازات آشوربانيبال كما ادّعى بنفسه.[1]

١- الدوري ، اشور بانيبال ، ص٤٢-٤٣

المبحث الثاني

المخلفات النحتية في عصر الملك اشور بانيبال

المبحث الثاني

النحت لغة واصطلاحاً :-

النحت في اللغة : النون والحاء والتاء كلمة تدل على نحر الشئ وتسويته لجديد ونحت النحاة الخشبة بنحتها ويقصد هنا بالنحتية الطبيعية ، ويريدون الحالة النحتية التي نحت عليها الانسان كالغريزة التي عزز عليها الانسان وما سقط من المنحوته نحاتة .[١]

ويعني النحت النشر وكذلك نحت الجيل النحاتة ما ينحت الجبل والنحاته ما ينحت بيوتا من الخشب وقد ذكر النحت في القران الكريم ((**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ))**. [٢]

اما النحت اصطلاحا :

يمكننا ان نعطي تعريفا تقريبيا للنحت ... هو عملية تجسيد كل ما يتركز من مشاهد فنية لدى فكر النحات واحساساته في تلك المادة المهياة للتشكيل .

عثر على العديد من النماذج المنحوته التي تعود الى العصر الحجري والتي تمثل معظمها نوع من الطقوس الدينية التي تمارس من قبل السكان وكان النحات يقوم بطباعة التماثيل والنصب والمنحوتات التي تمجد الالهه من جهة وهي تدل في الوقت ذاته على قوة الحاكم اوالملك وصلابته من جهة اخرى .[٣]

١- عبد السلام ، السراء ، فن النحت في العصر الحديث ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الموصل ،٢٠٠٥)، ص ١٨ .

٢- سورة الحجر ، اية ٨٢ .

٣- عبد اللطيف ،نزار ،النحت البارز في عهد الملك اشور بانيبال ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (بغداد _ ١٩٨٧م) ، ص١٤ .

فن النحت الاشوري

كان فن النحت من اهم الفنون التي مارسها العراقيون القدماء و الاشوريون على وجه الخصوص حيث كان هذا الفن الاصدق تعبيرا عن الاحاسيس الفنية والافكار والمعتقدات الدينية، كما كان من اكثر الفنون التي تركت لنا نماذج كثيرة ومن مختلف العصور نظرا لطبيعه المواد المستخدمه للنحت، وهي الحجارة بالدرجة الاولى ومقاومتها الشديدة لمختلف العوامل الطبيعية واحتفاظها باشكالها وهيئتها الاصلية مدة زمنية طويلة

وقد كان فن النحت مجسما او مدورا كنحت التماثيل الادمية والحيوانية على اختلاف اشكالها واحجامها، وقدكان فن النحت بارزا Reliefويشمل النحت الالواح الحجرية و والكتابة على المسلات والنصب وغيرها ومن اشكال وانواع النحت ايضا النحت او الحفر على العاج او على الاختام الاسطوانية او المنبسطة والحفر كذلك على الخشب وصياغة المعادن.

تطور فن النقش في العهد الأشوري تطورا سريعا حتى بلغ الذروة فيما يتصل بتمثيل الحيوانات وقد اتصف فن النقش الأشوري بانه فن حربي يهتم اولا وقبل كل شئ بتمثيل المشاهد الحربية والانتصارات العسكرية التي حققها الملوك الفاتحون على اعدائهم والنقوش العديدة التى خلفوها لنا على جدران قصورهم في حملاتهم العسكرية ودكهم للحصون والمدن وسوقهم للأسرى خير مثال على ذلك ، ولم يكتف الفنانون بالنقش على الواح الجص والمرمر كما يشير الى ذلك احد الباحثين بل نقشوا ايضا على المعادن ، ولعل اهم النقوش المعدنية البارزة التي وصلت الينا عبر التاريخ هي الواجهات البرونزية للقصر الذي بناه شلمنصر الثالث في القرن التاسع قبل الميلاد ومثل فيها اهم احداث حكمه .

هل هناك ماهو اروع من خيل سرجون الثاني في نقوش خرسباد او اللبؤة الجريحة التي عثر عليها المنقبون في قصر سنحاريب في نينوى او اللبؤة المحتضرة المنقوشة على حجر المرمر التي استخرجت من قصر اشور بانيبال ، او منظر اللبؤة المستريحة او الأسد الذي اطلق من الشرك او القطعة التي تمثل الأسد والسهم يخترق جسمه او القطعة التي نقش عليها اسد ولبؤة يستظلان بالاشجار او مناظر صيد الأسود الذي اغرم به الملوك الأشوريون ومشاهد الخيل والحمير الوحشية التي صورت بحركة وعنف وبمهارة بحيث يحق لنا ان نضعها في مصاف فنون العالم الممتازة والمتميزة.

ولع الأشوريون بنحت التماثيل الضخمة من الحجر، بعضها يمثل اشخاصا من بينهم الملوك انفسهم وبعضها يمثل الحيوانات الضخمة ولا سيما الثيران المجنحة التي ترى مليئة بالحياة والهيبة ، واستعمل الفن الأشوري كذلك عملية في النحت التي تتوسط بين النقش البارز والمجسم ولجأ الى هذا الطراز في اسفل الجدران في الأماكن الواجب ان تكون اكبر سمكا لتعرضها اكثر من غيرها للصدام اي لوجودها عند مدخل القاعات والممرات وفيها نرى ان مقدم العفاريت التي لها اجسام الأسود والثيران ذات الاحجام الضخمة احيانا نراها منفصلة تبرز من الحائط بروزا شديدا كما لو كانت تماثيل .مماحفز تدفق الفنانين والصناع الأشوريين الى ان يخرجوا اشكالا معمارية الى جانب الحلي المصنوعة من المعادن الثمينة ، يصوغونها بشكل جميل ويلبسونها في اذانهم ورقابهم ومعاصمهم او يزينون بها صدورهم وملابسهم وقد عرفوا انواعا من العطور والزيوت استخدمها الاغنياءمنهم بكثرة كما تدل على ذلك مخلفاتهم.

نماذج من فنون النحت

لنحت المجسم او البارز في العصور الاشورية

وهو النحت الحقيقي الذي مارسة الانسان منذ اقدم العصور ومايزال يمارسة حتى الان ، واذا تجاوزنا بعض الاواني الحجرية التي صنعها الانسان في العصور الحجرية بطريقة النحت وبعض المنحوتات الصغيرة التي استخدمها كحلي واساور. فأن المنحوتات الاشورية الضخمة التي تم اكتشافها في العواصم الاشورية تعد من اروع ماتم الكشف عنه من نماذج فن النحت البارز والمجسم في العراق قاطبة ،وهي تزين الان عددا من قاعات المتاحف مثل اللوفر في باريس والمتحف البريطاني في لندن

ان النحات الاشوري في العصر الاشوري القديم كان يتبع المدارس و الطرز البابلية السائدة انذاك ولاسيما ان بلاد اشور كانت تؤلف جزءا من المماليك الموحدة التي كان مركزها بلاد بابل ، ولكن مع ذلك وصلنا كسر من المنحوتات تعود للملك الاشوري شمشي –ادد الاول (١٨١٤-١٧٨٢ ق.م) تصور لنا جانبا من انتصاراته العسكرية وقد ظهر الملك بالنحت البارز وهو يطأ برجلة رقية احد اعدائه اضافة الى كسر من لوحات وجدت في بئر في مدينة اشور

اما من العصر الاشوري الوسيط الذي يعد ولادة الفن الاشوري المميز فقد جاءتنا عده نماذج للنحت البارز ، ونظرا لانشغال الاشوريين الى درجة كبيرة في هذا العصر بتثبيت اركان الدولة وحمايتها من الاخطار المحدقة بها من كل جانب . الا ان النشاطات العمرانية تتابعت وانتجت لنا عدد من المنحوتات البارزة والمجسمة المميزة مثل ماوجدناه من نحت على سفوح الجبال تخليدا للانتصارات العسكرية التي حققها الملوك مثل الملك تجلاتبليزر الاول ومنها مانحت على مسلات مثل المسلة البيضاء المكتشفة في نينوى والتي نقشت بالنحت البارز لمشاهد عديدة تشير الى عهد الملك اشور ناصر بال الاول (١٠٣٠-١٠٥٠) ق.م والتي كانت من اروع القطع الفنية البارزه في هذا العصر

اما في العصر الاشوري الحديث فقد بلغ الاشوريون قمة ازدهارهم الحضاري وذروة قوتهم العسكرية ، وكان طبيعيا ان يقطع فن النحت ولاسيما النحت البارز شوطا بعيدا ليقدم لنا اروع النماذج المعبرة عن قوة الاشوريين العسكرية ويعكس لنا الانتصارات المتلاحقة التي حققها الاشوريون على مختلف الاقوام.

لقد كان فن النحت مقتصرا على خدمه الدولة وبيان منجزاتها العسكرية والعمرانية واظهار قوة الجيش وملوكها لاهداف اعلامية بالدرجة الاولى فمنذ عهد اشور ناصر بال الثاني* (٨٨٣-٨٥٨ ق.م) بدأت طريقة تزيين جدران القصور الداخلية بالمنحوتات الجدارية الضخمة وتزيين مداخل المدينة والقصور بتماثيل ضخمه مركبة تمثل حيوانات مركبة مما عرف لدى الباحثين بالثيران المجنحة الا ان كثافة استخدام المنحوتات الجدارية والحيوانات المركبه الحارسة يشير الى تأثيرات ارامية نتجت عن احتكاك الاشوريين في هذا العصر بالاقوام الارامية في سوريا ومما يلاحظ كذلك ان النحت البارز قد طغى على اسلوب النحت في بلاد اشور حتى عندما كان النحات او الفنان ينفذ قطعه من النحت المدور حيث انه لم يكن يأبه باعطاء السمك الطبيعي للتمثال بل اعتنى بالمظهر الامامي والخلفي فقط

وقد تم الكشف عن عدد من التماثيل للالهه والملوك الا ان عددها محدود فمن العصر الاشوري القديم لم يصلنا الا تمثال واحد وجد في مدينة ماري وتمثال اخر من العصر الاشوري الوسيط يمثل الالهه عشتار اما في العصر الاشوري الحديث فقد ثم الكشف عن عدد لابأس به من التماثيل الخاصه بالالهه والملوك.

النحت البارز في عصر الملك اشور بانيبال :

زينت جدران القصر الملكي الاشوري في نينوى بمنحوتات تمثل منجزات هذا الملك (اشور بانيبال) وكأنها شريط سينمائي يستعرض قصص البطولة ، وكتبت هذه القصص بالخط المسماري على حقول كالتي نراها في المنحوتات والعديد منها موجود في المتحف البريطاني الذي استحوذ عليها قبل اكثر من مائة سنة مضت . وبعض هذه المنحوتات تصور انتصا رات الاشوريين في المعارك التي دارت في ذلك الزمن . لقد زينت جدران القاعة الاشورية في المتحف البريطاني بقطع من المنحوتات نحتا بارزا ومعظمها من قصر اشور بانيبال في نينوى وكانت هذه المنحوتات قد طمرت عندما هدمها وضربها الميديون . لقد اكتشفت هذه المنحوتات النتحتية البريطانية في اواسط القرن الماضي .

ان المنحوتات الاشورية تصور انتصارات الاشوريين في الحرب وكانت بعض اجزائها ملونة وكانت واجهات الجدران التي تعلوها مزينه بالرسومات وكانت تلك الصور مدعاة بالفخر من قبل عامة الاشوريين . هذا فضلا عن كونها مدهشة بالنسبة للزوار الاجانب ولا سيما اولئك الذين ربما تسول لهم انفسهم التحرش بالامبراطورية الاشورية وتمثل المنحوتات مادة تاريخية وعملا فنيا جميلا . فالمنحوتات الموجودة على الجدار الطويل الممتد حتى السلم النازل الى القاعة التحتانية تكون سلسلة من المنحوتات الاشورية .

صورت هذه المنحوتات الاشورية الحملة الاشورية عند بلاد عيلام سنة ٦٥٣ق.م وكان الحدث الرئيسي لهذه الحملة التي دارت رحاها في تل _ توبا ... وتبدأ قصة هذه المنحوتات الموجوده على الجدار من اليسار وتتجه نحو اليمين . وهناك حقول تزين تلك المنحوتات بالكتابة المسمارية وهي الدليل على روايات تلك القصص قصص الانتصارات التي ساعدت على توضيح ما يدور من احداث . وما تصوره تلك المنحوتات من انتصارات .[١]

إن خاصية الفن التشكيلي الأشوري هو التقرب إلى إدراك شكل ما وخاصة الإنسان والسعي إلى بناء مثل عليا للرجولة. هذه المثل هي الملك المنتصر ، الملك الأسطورة ، الملك القهار ، الملك الزوج القدير. ففي كل التكوينات سواء كانت نحتا مدورا او مجسما أكد الفنان الاشوري القديم في تعبيره عن البطش والقوة بشكل غير مألوف لإبراز العضلات وتصفيف الشعر الطويل والكثيف.

ان قصة الفن التشكيلي، وتاريخ تطوره، وكيف كان حال الفنون المختلفة من: نحت، وعمارة، وتصوير، بالإضافة إلى الفنون التطبيقية في الحضارات العراقية القديمة. ويقصد بها حضارت وادي الرافدين حيث أثرت تلك الحضارات العراقية القديمة التاريخ الإنساني في شتى مجالات الحياة .[٢]
تميزت في هذا العصر بجملة خصائص ابرزت تفرد النحات الآشوري بأعماله التي لا تضاهيها اعمال غيرها في مجال المجسمات المنظورة والتي تتمثل بأشكال الثيران المجنحة والتماثيل الكبيرة الخاصة بالآلهة والملوك ، الى جانب المسلات التي اشتهر بنحتها الفنان الآشوري في ذلك الوقت.

١- الدوري ، اشور بانيبال ، ص ١٦٢_ ١٦٣.
٢- محمد عزت مصطفى : قصة الفن التشكيلي... العالم القديم الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،ص ١٩.

كما ويشاهد في ثلاث منحوتات جدارية أخرى وصلتنا من قصر الملك آشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق.م) في نينوى مشاهد لكتبة، يظهر في إحدى هذه المنحوتات كاتبان يسجلان الغنائم أحدهما يقف إلى اليمين وهو يحمل لوحاً مفصلياً (من الخشب أو العاج المغطى بالشمع) بيده اليسرى بينما يحمل قلماً باليد اليمنى، أما الكاتب الآخر فيحمل قرطاساً ربما يكون من الجلد أو ورق البردي ويتدلى إلى الأسفل ويلاحظ أن زي كل من الكاتبين يتكون من رداء قصير ينتهي عند الركبتين وربما كان هذا الزي خاصاً بكتبة الجيش لاختلافه عن الأردية الطويلة التي يظهر بها الكاتب العادي في القصور.

وربما كان هذا الزي عملياً أكثر ويتيح حرية الحركة والتنقل بحزام من الجلد المضفور حول الخصر وينتهي الرداء بشراشيب من الأسفل، ويحتذي كل من الكاتبين بجزمة فوق جواريب من النسيج الخشب

فالنمحوتات البارزة في عهد الملك آشور بانيبال غنية بشكل كبير في تكوينات المواضيع القصصية وفعالياتها الدراماتيكية المؤثرة. ففي أحد المشاهد نلاحظ سهام الصيادين قد أصابت مؤخرة لبؤة، فمن شدة الألم تحاول المسكينة أن تنهض وهي تسحب أرجلها الخلفية ومؤخرتها المصابة ، وفي مشهد آخر نلاحظ أسدا آخر أصيب بسهم ثقيل في صدره.

نلاحظ أن هذا الحيوان يحاول الحفاظ على توازنه وقد تقوس إلى الأمام في حالة تشنج يتدفق من فمه سيل من الدماء. اتصف الأشوريون بجبروتهم ليس مع الحيوانات فقط وإنما مع أعدائهم أيضا. لذلك نرى أن الفنان الأشوري عبر بشكل واقعي وموضوعي عن الآلام المميتة التي تحس بها الحيوانات، ولكن الخاصية الجمالية أدركها الفنان من خلال مشاعره الإنسانية تجاه هذه المخلوقات. (١)

١- د.عامر عبد الله الجميلي: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، بحث منشور على موقع اتحاد الكتاب العرب دمشق ــ ٢٠٠٥.

المبحث الثالث

مواضيع النحت البارز في عصر الملك اشور بانيبال

***المبحث الثالث**

مواضيع النحت البارز في عصر الملك اشور بانيبال :

المشاهد الحربية :-

ان النحات الاشوري في عصر اشور بانيبال استخدم طريقة تقسم المنحوتة على عدة حقول . افقية من المشاهد تصل الى اربع حقول أحيانا . بعد ان كانت ثلاثة حقول في زمن سنحاريب .

فعلى الواح الحملة الحربية على بلاد عيلام استخدم النحات الاشوري سطح اللوح كاملا كما فعل النحات سنحاريب مملوءاً من الاسفل الى الاعلى بحشود الاشتباك القتالي بين الاشوريين والعيلاميين في المعركة الفاصلة . التي انتصر فيها اشور بانيبال انتصاراً حاسماً على العيلاميين وملكهم تيومان الذي سقط قتيلاً في هذه المعركة .[١] (لوحة رقم ١)

لقد صورت هذه المنحوتات هجوم الجيش الاشوري بعرباته وفرسانه ومشاته المدججيين بالسلاح ويمكن من تمييز العيلاميين من الاشوريين بوساطة الشريط المعقود من الخلق فوق رؤوسهم وهم مذعوريين وغير منتظمين لا بل هاربين من ارض المعركة .[٢]

بينما اشتغل الجيشان الاشوري والعيلامي بالقتال ندى النحات قد ركز على تفاصيل دقيقة داخل اوار القتال. [٣]

ففي منحوته اخرى من الرخام يوجد مشهد موشى بكتابه مسمارية لتوقيعه تنص تلك الكتابه على تيومان ملك عيلام جرح في المعركة الكبرى وهرب من اجل انقاذ حياته .[٤]

١- طارق مظلوم ،النحت في عصر السلالات حتى العصر البابلي الحديث ،حضارة العرق ، ج٤ ،بغداد /١٩٨٥،ص٨٨.
٢- الدوري ، اشور بانيبال ، ص١٦٤.
٣- طارق مظلوم ، المصدر السابق ، ص٨٨.
٤- الدوري ، المصدر السابق،ص١٦٤.

لكن عربته الملكية انكسرت وسقطت فوقه ... اما تاماريتو ابن تيومان ملك عيلام الذي هرب من المذبحة فقد مزق ملابسه واخذ يجر والده وهو يصرخ اسرع ولا تتاخر . وعند اعلى المنحوته الرخاميه ترى حطام مركبة تيومان محاطة بالاشجار حيث سقط الملك تحت احدى العجلات . بينما اخذت الخيول تترنح وتسقط خائرة باتجاهات متفرقة واسفل ذلك عند اليمين تحت حوافر الخيل ترى تيومان مسرعا الى الوراء وقد اصابه سهم في ظهره متعكزا على يد ابنه اماريتوا الذي اشار بيده الى ابيه ليسرع في الهرب . وعلى اية حال فقد احاط بهم الجند الاشوريون الذين يظهرون الى اليمين من المشهد المذكور . ويمثلون احد رماة السهام . واثنان يستخدمان الرماح وجندي اخر يحمل فأسا ويحاول تاماريتو من دون جدوى ابعادهم وذلك باطلاق سهم من قوسيه بينما يتمدد والده بجانبه الا ان مقاومته لم تجد نفعا . والى اليمين من ذلك مباشرتا ترى تاماريتو قد ضرب على راسه بدبوس ضربة اردته قتيلا بينما قطع راس والده والتقط التاج الممرغ بالتراب احد الجنود الاشوريين .[١] (لوحة رقم ٣)

يخبرنا اشور بانيبال في احد نصوصة قائلا رد بانه اشور بانيبال . ملك العالم ملك بلاد اشور غالب اعدائه وبقوة الاله اشور وبقوة (اله) الشمس (واله) القمر والاله بيل والاله اشور نابو والاله عشتار اربيل والاله نتورتا والاله نركال قطع جنودي راس تيومان ملك عيلام وجلبوه سريعا امامي ورموه ارضا عند بوابه المدينة امام عجلات مركبتي . [٢]

١- الدوري ، اشور بانيبال ، ص ١٦٠ .
٢- المصدر نفسه ، ص ١٦٥.

يظهر في مشهد اخر قيام الجنود الاشوريين . بعد رؤوس القتلى العيلاميين الذين سقطوا في المعركة وينتهي هذا المشهد بتتبع الجنود العيلاميين الهاربين وسقوط العديد منهم في نهر اولاي (الكرخه) الذي بقي ملونا بدمائهم مدة ثلاثة ايام . كما يخبرنا بذلك الملك اشور بانيبال والى يمين ذلك يظهر نهر اولاي على الجزء السفلي من المنحوته وهوه ملئ باشلاء الرجال والخيول وبقايا العربات مشايا بهدوء يعبر عن مسيرة الاسماك المواكبة لهذا المشهد .(لوحة رقم ٤) وتوجد تفاصيل دقيقة اخرى . منها مشهد يمثل احد الفرسان الاشوريين يطعن برمحه احد العيلاميين . بينما استلم قائد الجيش العيلامي اتولي وقطع وتر قوسه (دلالة استسلامة للجيش الاشوري) في حين نرى في مشهد اخر اورتاكو نسيب تيومن .وقد جرح بسهم لكنه لم يمت وتوسل بأحد الجنود الاشوريين قائلا [تعال واقطع راسي واحملة الى الملك سيدك واربح اسما عظيما (ووساماً) لنفسك]. [١] (لوحة رقم ٥)

ان معالجة الحشد والتلاحم الكبير في تصوير هذه المعركة التي ظهرت اول مرة في زمن اشور بانيبال يذكرنا بالمنحوتات المصرية التي تصور مواضيع المعارك الطاحنة في هابو وابو سيل من زمن رعسيس الثالث . فأغلب الظن ان اشور بانيبال قد اصطحب معه في حملتة الى مصر نحاتين اشوريين شاهدو هناك بشكل مباشر تلك الالواح وتأثروا بتكويناتها ومواضيعها الملحمية المزدحمة فظهر ذلك على الواحة في معركة نهر الكرخا ضد العيلاميين.

ومن المشاهد التي توجت انتصارات اشور بانيبال مع زوجته اشور-شراف على الارائك. حيث يظهر انه جالس مع زوجته تحت ظلال اغصان العنب في جو احتفالي بهيج . وهم يشربون نخب النصر عاى انغام الموسيقى يعزفها عدد من الموسيقيين . وامامهم علق رأس تيومان على غصن احدى الاشجار .[٣] (لوحة رقم ٥)

ان المنحوتات التي مثلت انتصار الاشوريين على العيلاميين . كانت قمة ما وصل الية النحت الاشوري من تطور وازدهار في عهد الملك اشور بانيبال . لقد صور اشور بانيبال حملاته على العرب في منحوتات زينت جدران قصرة في نينوى ومنها منحوته مثلت شخصين من العرب راكبين على عجلة يطاهر الثاني . وقد حمل واحد منها في يده العصا في حين حمل الاخر قوساً وسهماً .وجهها الى احد الفرسان الاشوريين خلفه .[٣١] (لوحة رقم ٦)

١- طارق مظلوم ، النحت في عصر السلالات ، ٨٨- ٨٩ .

٢- الدوري ، اشور بانيبال ، ص١٦٦ .

ينقسم النحت البارز الى قسمين : علوي وسفلي

فصل بينهما بواسطة خط يمثل الارض التي تدور عليها المعركة ويظهر ان معركة حامية تدور بين القبائل العربية والاشورية. ففي المنظر العلوي نلاحظ ان العرب يمارسون من على جمالهم . بينما الاشوريين من غير جياد ويبيين لنا منظر الجمل الفكرة المشار اليها وهي الركوب المتعاكس لجنديين على ظهر الجمل احدهما يوجة الجمل بعصا بيده والاخر يقاتل . كما يظهر العديد من القتلى على الارض اما المنظر السفلي فنجد قتلى على الارض . وجند اشوريين على خيولهم وجنوداً عرب على جمالهم . الى جانب ظهور جنديين يتشابكان بالايدي كما يظهر ان احد الجمال العربية قد تعثر ويحاول احد الجنود ايقافة ثانية . بينما قتل زميله المسلح من قبل الاشوريين حيث يظهر وهو بصدد السقوط على الارض . يلاحظ من منحوته اشور بانيبال ان القتال قد تعمد الى اظهار الجنود العرب بشكل غير متكافئ مع الجنود الاشوريين اذا يظهر الجندي الاشوريين كعسكري مدرب مفتول العضلات كما ان طريقة مسكه للرمح وتوجيهه تنم عن تدريب عال . بينما الجندي العربي يوجه رمحه بشكل ضعيف وغير متقن وربما العصا الطويلة التي يمسك بها احد الجنود العرب لتوجيه الجمل قد استخدمت كذلك للدفاع عن الفتن .[١]

١- الهاشمي رضا جواد ،((تاريخ الابل في ضوء المخلفات الاشارية والكتابات القديمة))

٢- ملحق مجلة كلية الاداب ، بغداد /١٩٧٨ ، ع٢٣ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

مشاهد الصيد

ارتقى فن النحت البارز الاشوري في زمن اشور بانيبال قمته في مواضيع الصيد . واشهرها مواضيع صيد الاسود المكتشفة في نينوى . ففي هذا الموضوع استفاد النحات من كامل وجه اللوحة ليعطي مشاهد مستمرة لعملية الصيد .فظهر الاسود بوضعيات مؤثرة متنوعة . فبعض الاسود صورت وهي تهاجم العربة الملكية التي يقودها الملك مع مساعدية وقد وجة الملك رمحه نحو الاسد الواثب على مؤخرة العربة .(لوحة رقم ٧) مما صور النحات الاشوري من عصر اشور بانيبال . عملية قنص الخيول البرية بشكل واقعي ملئ بالحركة والحيوية . (لوحة رقم ٨)
ويوجد مشهد اخر يوضح قيام الملك اشور بانيبال . يسكب السائل المقدس على رؤوس ثلاثة من الاسود الميتة التي تمدد تحت قدمية . (لوحة رقم ٩) ومن مشاهد الصيد الاخرى منحوتة تمثل اسداً وقد اصيب بعدة سهام اخترقت جسمة واخذ الدم ينزف من فمه . وهو يتألم من اثر السهام .(لوحة رقم ١٠)

ومن مشاهد الصيد المهمة منحوتة تصور اشور بانيبال ممتطياً صهوة جواده ومرتدياً ملابس الصيد المؤلفة من لباس زخرف بزخارف دائرية .تضم في داخلها زهرات ويرتدي الملك حزاماً عريضاً فوقة حزاماً أصغر منه . ويتزين الملك بأساور في زنديه وعلى رأسه عصابة عريضة من الامام . تضيق من الخلف وتنتهي بشريطين . ويحمل الملك في يده قوساً وسهماً ويوجد على يده اليسرى شريط لعله من الجلد لحماية اليد من ظربة وتر القوس . [١] (لوحة رقم ١١. وفي أحد المشاهد نلاحظ سهام الصيادين قد أصابت مؤخرة لبؤة، فمن شدة الألم تحاول المسكينة أن تنهض وهي تسحب أرجلها الخلفية ومؤخرتها المصابة ، وفي مشهد آخر نلاحظ أسدا آخر أصيب بسهم ثقيل في صدره. نلاحظ أن هذا الحيوان يحاول الحفاظ على توازنه وقد تقوس إلى الأمام في حالة تشنج يتدفق من فمه سيل من الدماء. اتصف الأشوريون بجبروتهم ليس مع الحيوانات فقط وإنما مع أعدائهم أيضا. لذلك نرى أن الفنان الأشوري عبر بشكل واقعي وموضوعي عن الآلام المميتة التي تحس بها الحيوانات، ولكن الخاصية الجمالية أدركها الفنان من خلال مشاعره الإنسانية تجاه هذه المخلوقات.

١- الدوري ، اشور بانيبال ، ص١٦٨.

المشاهد الطبيعية

مال النحات في زمن اشور بانيبال أكثر نحو الطبيعة . والتعبير الواقعي .قلقة عرف نحات اشور بانيبال الدقة في التعبير وتعلم اكثر عن دقائق وتفاصيل تخص جسم الانسان والحيوان وحتى النبات . واكثر من ذلك فقد تحسس الفنان في عهد اشور بانيبال اكثر من اسلافه بموضوع علم الابعاد (المنظور) . (١)

فنراه على سبيل المثال يعالج ذلك في لوحته . اذا اعطى احجاماً مختلفة عن درجة من حيث الكبر . لصفوف من الاشجار في حديقة ملكية اشورية. (٢) (لوحة رقم ١٢)

١- طارق مظلوم ، النحت في عصر السلالات ،ص ٨٧- ٨٨.
٢- الدوري ، اشور بانيبال، ص ١٦٨.

مواضيع اخرى

ان اول ظهور لمشهد حمل السلة على الرأس أسهام في عملية البناء من قبل ملوك وادي الرافدين . قد جار من عصر في السلالات ويرجع تحديدة الى عهد اوناتشة .[١]

واستمر هذا التقليد حتى العصر البابلي الحديث . حيث استاثرت المسلات المعمولة بالطريقة البابلية باهتمام اشور بانيبال .حيث عثر على مسلة صور عليها الملك الاشوري وصورة لحمل سلة التراب على رأسه . ووجهه بوجه المشاهد (لوحة رقم ١٣) . ان طريقة رفع اليدين الى الاعلى . لمسك السلة في هذه المنحوتة . تذكرنا بتماثيل . الاسس السومرية المصنوعة من البرونز لااورنمو ويبدوا ان هذه الطريقة ظلت مستحبة في بابل حتى زمن اشور بانيبال . اذ لم نجدها في منحوتات الاشوريين التي تم العثور عليها في المدن الاشورية والملاحظ كذلك ان النحت البارز في هذه المسلة هو من النوع النافر المجسم . وهذه الصفة ايضاً من المميزات المعروفة في النحت البارز البابلي .[٢]

١- اورنانشة :- احد حكام دويلات المدن السومرية حكم مدينة لكشن عام ٢٥٢٠ق.م

٢- الدوري ، اشور بانيبال ، ص١٦٨-١٦٩.

مسلة الملك اشور بانيبال

عثر على مسلة الملك اشور بانيبال اثناء اعمال التنقيب في مدينة بابل وهي مسلة حجرية والتي كانت تحتوي على نص مسماري والتي ذكر فيها تجديد وبناء معبد الاكيلا في بابل.[١]

الذي ذكر في كتاباته على المسلة بانه بنى هذا المعبد بأخشاب من اشجار السدر وجهزه بابواب جديدة كما زوده باواني مليئة بالذهب والفضة والنحاس والحديد . يبلغ الارتفاع الكلي لهذه المسلة حوالي ٨ ، ٣٦ سم وهي محفوظة الان في المتحف البريطاني في لندن . تصور هذه المسلة هيئة الملك اشور بانيبال في وضع الباني او القائم بعملية البناء من خلال حملة سلة الطابوق المستخدم في البناء . مما يلاحظ على طريقة نحتها الاتقان والمرونة الكبيرة عاشقة النحت البارز على المسلة .[٢]

يظهر الملك اشور بانيبال بزية الاشوري الملكي المتمثل بلباس طويل شراشب مائلة بعض الشئ بحزام يلف الخصر واضعاً التاج المزدوج على رأسة .[٣]

فيما يلي ترجمة لبعض النصوص المسمارية الورادة على هذة المسلة ((انا اشور بانيبال ، الملك العظيم ، ملك الكون ،ملك بلاد اشور ،ملك الجهات الاربعة ،ملك الملوك ،الامير الذي لا نظير له ، الذي هو بأمر اشور وشمش بفرض سيطرته من البحر الاعلى الى البحر الاسفل والذي جعل كل الامراء يخضعون له ، الذي بنا ايسا ـ كيك ـ esa- gila- ، معبد الاله ، هو الذي جعل مدخله يشرف كالكتاب الملون ، واصلح الاضرار في الاماكن المقدسة . الذي نشر ظلي في كل مدينة ، الذي اعماله مقبولة لدى كل الاله . والذي كان حكمه سعيداً لذوي الرؤوس السوداء من الرجال . ابن اسر حدون ومن ذلك الوقت ، اصبح حائط ايزيداً قديماً واصبح اساساً ضعيفاً . وفي عهدي اعدت بناء خرائبه وجعله يرتفع كالجبل عالياً . ولكل الوقت . الذي ياتي قد ينظر نبر السيده والالهه الجليل ، باستحان على اعمالي الدينية ولاجلي اشور بانيبال الامير الذي تطلق كلمة فرضية على شفتيه ، وحياة سرمدية ، وكثر الذرية وصحة الجسم ، وفرح القلب قد يقظي هكذا قدري)) [٤]

١- كشف المنقبون عن مسلة في خورسيا مشهد يشبة المشهد المنحوت على هذه المسلة حيث يمثل عليها اشور بانيبال حاملا سلة البناء على رأسة للاشارة على قيامة ببناء معبد نبوة.

٢- الراوي ، هالة عبد الكريم ،المسلات الملكية في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، موصل ٢٠٠٣، ص٢٢٦.

٣- مورتكارت انطوان ، النحت في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٧٥م،ص٤٢٢.

٤- الدوري ، اشور بانيبال ، ص٢٢٧_٢٢٨.

الحديقة الملكية للمك اشور بانيبال

يعود تمثيل اخر حديقة ملكية الى السنوات الاخيرة من العصر الاشوري الحديث الى حكم الملك اشور بانيبال فوسع دائرة ملكه بفضل حملاته الحربية والمثبته في نصوصه واكد سيطرتهعلى غرب بلاده بمنحوته عثر عليها في العاصمة نينوى اذ يظهر الملك الاشوري في عربته وبصحبته مجموعة من مرافقيه بوسط مشهد ذي تلال تنمو فيه أشجار الصنوبر بكثافة عالية وهو يمارس عمليات صيد الطيور البرية التي رافقت احدى حملاته العسكرية على١٤ المدن الغربية . (لوحة رقم ١٤)

وبعد ان ادخل هذه المدن تحت سطوته اوعز لنحاتيه نقل المشاهد الطبيعية بنقوش بارزة ليزين جدران قصره الشمالي في نينوى فهناك صورة لمدينة ثلاثية السور مستقرة على منحدر تل والمدينة ذات ابراج وبناء ذي قاعدة عاموديه مثبة على اسد وهذه القواعد تزين قصور وقصور جده سين-اخي-اريبا والى اليمين من المدينة هناك تل مغطى باصناف مختلفة من الاشجار النامية بين تقاطع جداول الماء واشجار تتضمن النخيل والصنوبر واشجار نفظية كما تزرع اشجار الصنوبر في اسفل التل بجانب ضفاف جدول الماء ويضم المشهد جميع انواع النباتات العطرية المزروعة في بلاد حاتي ومحاصيل بلاد الكلدان

بعد ان صعد الملك الاشوري على قمم جبال لبنان والامانوس وقطع اشجار الارز والصنوبر لينقلها الى بلاد وفي مشهد فني ثانٍ يظهر اشور بانيبال في حديقته الملكية بصحبة زوجته الملكة اشور - شرات وسط مشهد طبيعي مزين بالنباتات المألوفة في الجهات الغربية حيث ، اشجار الصنوبر والارز واشجار الفاكهه كالكروم والعنب ونباتات جبال الامانوس وهذا المشهد ذو مدلول سياسي وعسكري ،والزوجان متكئان على اثاثهما الملكي الفخم فالملك يشرب نخب انتصارهعلى بلاد عيلام .[١]

١- دراسات موصلية ، د احمد زيدان الحديدي ،ع ٢١ ، ٢٠٠٨م، ص ١١٦ ١١٧

وهو يقص على مسامع زوجته مغامراته في الشرق وانجازات جيشهعلى العيلاميين فاظهرت المنحوتة الملك وزوجته بجو رومانسي مصحوب بالعازفين والموسيقيين والمرافقين الذين يملؤون مكان الاحتفال بالمتعة والى يسارهم هناك رأس مقطوع ومعلق على الشجرة يعود لتيومان ملك بلاد عيلام وهذا نصر عسكري كبير سجل لبلاد اشوروهنا نلاحظ ظهورالملكة الاشورية لاول مرة في جلسة رسمية اذ يعكس المشهد الفني دور الملكات الاشوريات في الحياة السياسية والعسكرية وهي على اطلاع كامل بحركات الجيش الاشوري وتتبع اخبار خارج حدود البلاد الى درجة ان يقص الملك اشوربانييبال انتصاراته عليها وهذا يعكس ايضا مكانتها عنده بين نساء قصره الاخريات. كما ظهرت الملكة اشور شرات وهي تسير في حديقة قصرها برفقة احدى النساء التي قد تكون من وصيفاتها وسط الاشجار المثمرة التي تزين المكان وبصحبة أسد أليف يسير بجانبها ويحتمل ان يكون هذا الاسد من ضمن الاسود التي جلبها الملك اشور بانيبال بعد عودته منتصرا من احدى معاركه في الجبهه الغربية وهذه دلالة واضحه على ان المنطقة خضعت كليا للحكم الاشوري المباشرومن ثم روضه ليعرضة في ليقدمة هدية لملكته دليل محبتها ومكانتها عنده.مع العلم ان الملك الاشوري قد ربى في حديقة قصره زوجا من الاسود حيث يظهر في احد المشاهد اسد مع لبوته وسط منظر طبيعي يضم العناصر النباتية الغربية التي سبق ان صورها الفنان في حدائق اجداده شروكين وسين اخي اريبا حيث اشجار الصنوبر والكروم وخلف اللبوة نباتات ذوات سيقان ثلاثية طويلة تحمل ازهار دائرية تشبه زهرة عباد الشمس وتتشابك اشجار الكروم حول شجرة الصنوبر وتظهر عناقيد العنب

وهناك مشهد فني لشخص يسير في حديقة الملك اشوربانيبال والمزينة بالاشجار المثمرة وهو يمسك برسن كلب مربوط بيده اليمنى ورافع اليسرى الى الاعلى وفي مشهد ثانٍ هناك شخص يسير بين وماسكا عصا طويلة الاشجار والى جانبه ثور.[1] (لوحة رقم ١٥)

١- دراسات موصلية ، د احمد زيدان الحديدي ، ص ١١٨ ١١٩ .

الخاتمة

من خلال استقراء ما تقدم من دراسة بحثنا المتواضع توصلنا الى

١- الأشوريين كانوا مقاتلون أشداء يتميزون بالقوة والبطش وكانت لهذه القوة الأثر العميق على نتاجاتهم الفنية المختلفة.
ولكن هناك رأي آخر ينظر إلى مواقف البطش والسيطرة وإبادة اعدائهم المهزومين كما ظهرت في الفن الأشوري على أنها شكل فني يعبر عن الرجولة وليس تصويرا مطابقاً للطبيعة ومعبرا عن الوقائع التي حدثت.

٢- الفنانون الاشوريون مارسوا فن النحت بكلا نوعية غير ان ابداعهم الفني تجلى في النحت البارز.
٣- هذا النحت التعبيري او التصويري المجرد وعلاقته بالمشاهد المفردة قد أصبح عنصرا فرديا تماما وأعظم تأثيرا في الفن، ومن أهم وسائله للتعبير . ذلك أن تركيب المشهد وتأليفه أصبحا يؤلفان العامل الحاسم في تطور الأسلوب .
٤- كانت النزعة الغالبة عند الفنان الاشوري تمثل الموضوعات الدنيوية الخاصة بشؤون الدولة الرسمية مثل حملات الملوك واعمالهم اي ان الاتجاه كان لتوظيف النحت لاغراض دعائية اعلامية تمجد الملوك واعمالهم وتحكي قصة فتوحاتهم العسكرية وقضائهم على الفتن والتمردات فكان يعبر بصدق عن قوة الامبراطورية الاشورية العظيمة وحملاتها
٥- ان موضوع الحيوانات الجريحة في الفن الأشوري يؤكدا أنها لا تعبر عن قدرة وقوه الملك أو الآلهة على القضاء على الشر والتغلب عليه بقدر ما تحرك إحساسنا كمشاهدين بالعطف على الحيوانات المصورة وهي في قمة تعرضها للمأساة .
٦- إن الصور الكثيرة للحيوانات المتصارعة في القصر الشمالي التي فاقت بدقتها فن المنحوتات الناتئة في القرن التاسع قبل الميلاد .
٧- وان هذه المشاهد من القصر الشمالي تحرك كل من ينظر إليها بجمالها البالغ، وبفتنة تتجاوز حدود موطنها. فهي تؤلف الخاتمة الطبيعية للفن الكلاسيكي في بلاد ما بين النهرين القديمة ، ذلك الفن التصويري المعبر عن مفهوم الملكية

المصادر

١- اسراء عبد السلام ، فن النحت في العصر السومري الحديث ،رسالة ماجستير غير منشورة ' الموصل ٢٠٠٥

٢- د احمد زيدان خلف الحديدي، دراسات موصلية ، ع ٢١ ، ٢٠٠٨م .

٣-جان بونيرو ، الديانه عند البابلين ، ترجمه ، وليد البادر ، بغداد ١٩٧٠ .

٤-جورج كونينيو ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة ، سليم طه التكريتي ، وبرهان عبد ، بغداد ١٩٧٩.

٥-رضا جواد الهاشمي، تاريخ الابل صور المخلفات الاشارية والكتابات القديمة ، ملحق كلية الاداب ، العدد ٢٣،بغداد ١٩٧٨.

٦-رياض عبد الواحد الدوري، اشور بانيبال ٦٦٩-٦٢٧ق.م سيرته ومنجزاته ، بغداد ٢٠٠١.

٧-طارق مظلوم ،النحت في عصر فجر السلالات وحتى العصر البابلي الحديث ،حضارة العراق ،الجزء ٤، بغداد ١٩٨٥.

٨-طه باقر ، مقدمة عن تاريخ الحضارات القديمة ،الجزء ١، بغداد ١٩٨٦.

٩-د.عامر عبد الله الجميلي: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، بحث منشور على موقع اتحاد الكتاب العرب دمشق – ٢٠٠٥.

10-عدي عبد الوهاب النعيمي ،الحوار المتمدن ،ع:٢٥٣٦، سنه ٢٠٠٩ ، المحور: الادب والفن

١١-عزت مصطفى : قصة الفن التشكيلي... العالم القديم الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

١٢-د. فاضل عبد الواحد ، عشتار مأساة تموز ، بغاد ١٩٧٣.

١٣-فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، موصل ١٩٧٩.

١٤-مورتكان انطوان ، النحت في العراق القديم ، ترجمه عيسى سليمان ، وسليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٥.

١٥- مورتاكن انطوان ، تاريخ الشرق الادنى القديم ، تعريب توفيق سليمان ، دمشق ١٩٧٥.

١٦- نزار عبد اللطيف ، النحت البارز في عصر الملك اشور بانيبال ،رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ١٩٨٧.

١٧-هالة عبد الكريم الراوي ، المسلات الملكية في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، موصل ٢٠٠٣.